الذي يحيط باليهود هو الذي يتحمل كل المسؤولية، او معظمها، تجاه اليهود. هذا كان رأي ميرابو وروبسبير ومالزيرب، والقس غريغوار، وغيرهم، وكذلك نابوليون بونابرت.

يمكن ان تقوم الفقرة التالية بتوضيح وجهة نظر بونابرت. ففي معرض اجابته على السؤال الذي طرحه عليه اوميرا (الطبيب الايرلندي الذي رافق نابوليون لبعض الوقت في جزيرة سانت هيلانه) في ما يتعلق بسياسته تجاه اليهود. أجاب نابوليون: «اريد، بجعلهم احراراً وباعطائهم الحقوق المتساوية عينها التي للكاثوليك وللبروتستانت، ان احوّلهم الى مواطنين ممتازين... بكلمات اخرى، لقد فكرت في ان اجذب الى فرنسا ثراء كبيراً، ذلك لان اليهود هم كثيرون، ولسوف يهرعون، على شكل جماعات، الى البلد الذي يتمتعون فيه بالامتيازات الكبرى التي لا يتمتعون بها لدى اية امة اخرى. ولقد كنت انتظر كذلك ان يتخلوا عن سياسة الربا...»[١٤].

يشرح هذا، ربما، احد الدوافع التي جعلت بونابرت يكرس جزءاً هاماً من وقته للمسألة اليهودية في فرنسا، وفي المناطق الاوروبية الاخرى التي كانت تخضع للاحتلال الفرنسي. نلاحظ اهدافه، كذلك، في كلمته في مجلس الدولة في ٣٠ نيسان (ابريل) ١٨٠٦، اي قبل عقده للسنهدرين، نلاحظ في هذا الكلمة روحية مالزيرب الفيزوقراطي عينها وحتى كلماته، وهي روحية عصر الانوار، وافكاره. فاذا كان اضطهاد الاديان في السنوات الاولى للثورة لم تؤت ثمرتها، وهي جعل دين الثورة والعقل ديناً وحيداً للشعب، فان اهتمامه انصب على تحويل السكان اليهود ودمجهم في مجموع الشعب، اي «تحويل عقلية هؤلاء السكان وتمثلهم، كلية، بحسب حاجات السلطة». يقول بونابرت: «يمكن ان يصبح التشريع سلطوياً اما بالميتافيزيقا او بالتسلط. يجب ان نضم الحالات العامة لليهود... يجب ان يُعقد كنيس عام لليهود في باريس في ١٥ حزيران (يونيو)»[١٥]. الغرض ذاته يؤكده نابوليون، فيما بعد، حين ارسل من بوزن (Posen) في المانيا، بعد وقت قصير من انتصاره في بينا (Iena) في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٠٦، بخصوص ما ينتظره من انعقاد السنهدرين (المجلس التمثيلي اليهودي) الذي امر بعقده، وتم انعقاده، فعلاً، في سنة ١٨٠٧، في باريس، بحضور ممثلين عن يهود فرنسا والمانيا وايطاليا (الاراضي التي تحتلها فرنسا). ووجه فيه نابوليون الى المجلس، الذي رشح رئيسه هو بنفسه، مجموعة من الاسئلة تكشف عن انه يريد من ممثلي اليهود اجابات تتناسب مع ما كان قاله عن ان التشريع يمكن ان يصبح سلطوياً بالميتافيزيقا. فلقد كان يريد من افراد السنهدرين ان يجيبوه بما من شأنه ان يسهل له، بالاعتماد على هذه الاجابات، استصدار تشريع مساواتهم بباقي افراد المجتمع؛ وبذلك يصبح تشريعه سلطوياً بالميتافيزيقا. بل ان قراءة لهذه الاسئلة المتعلقة بموقف الدين اليهودي من الزواج بغير اليهود، والربا، الخ، توضح ذلك من غير عناء. وما يوضح ما ذكرنا عن اغراض نابوليون بصدد السنهدرين هو انه، بعد انفضاضه وحصوله على ما يريد منه، طوي الموضوع نهائياً، وذلك على الرغم من ان الحديث كله كان يدور حول ان المجلس سيكون دورياً ودائم الانعقاد[١٦].

المشروع ـ النموذج

ليست الصهيونية حدثاً متعالياً على الزمان والظروف. فلقد ارتبطت، منذ البداية، بجملة تاريخ التدخلات الامبريالية التي استهدفت صوغ تاريخ المنطقة العربية، والشرق الاوسط بشكل عام، صياغة معادية لمصالح سكانها وطموحاتهم. هذا يفسر كيف ان نداء بونابرت، المرتبط بمشروعاته الامبراطورية، قد رافقته حركة واسعة اخذت تفصح عن نفسها، منذ ذلك التاريخ، بصدد مستقبل فلسطين، في عموم القارة الاوروبية. والملاحظ، في هذا الشأن، ان موقع فلسطين قد ازدادت اهميته